طرق تدريس القواعد النحوية وعلاقتها بفكر ابن خلدون

أ/ بلخير شنين
جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)

La grammaire arabe est l'une des disciplines les plus nécessaires pour le locuteur arabophone dans la mesure où elle lui accorde le privilège de maîtriser davantage les règles de la langue (l'expression écrite et orale), la compréhension de la poésie arabe ainsi que les sens véhiculés par le texte coranique.

La question de rigueur, dans ce cadre, est celle liée aux acteurs de l'opération didactique (l'enseignant et l'apprenant) et la relation qu'ils entretiennent avec le savoir : quelle méthode peut-on adopter dans l'enseignement de la grammaire arabe ? Est-elle unique ou multiple ? faisait-elle partie des centres d'intérêt chez les anciens grammairiens et savants arabes tels que Ibn Khaldoun ? Cet héritage est-il réinvesti par les spécialistes modernes de la matière ?

Ainsi, notre intervention sera une tentative de réponse à toutes ces interrogations autour de la didactisation de la grammaire arabe

تُعدّ القواعد النحوية من أبرز مراحل تعلّم اللغة العربية , فابن خلدون يضعها في مقدّمة علوم اللسان:« وأركانه أربعة:وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ... والذي يتحصّل أنّ الأهمّ المقدّم منها هو النحو, إذ به يتبيّن أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول , والمبتدأ من الخبر , ولولاه لجهل أصل الإفادة»1 .

ولا يتمّ التحصّل على هذه القواعد إلاّ بالتعليم, وحتّى يُحقّق المعلّم أهدافه التعليمية لا بُدّ أن يستخدم أكثر من طريقة في التدريس , وخاصة في تدريس القواعد النحوية, لما تُوصف به من صعوبة عند الكثير من المتخصّصين العرب منذ القرن الثاني الهجري , هذا ما أدّى إلى المناداة بتيسير النحو العربي بدءاً بالجاحظ , وانتهاء إلى دعاة التيسير في العصر الحالي , ولكن رغم ممّا سال من حبر في هذا المجال لم يَتوصّل العلماء إلى نتائج فعلية تخدم تيسير القواعد النحوية,- لأنّنا ما نزال نجد تلاميذ

الأمة العربية متخوفين من النحو العربي– الأمر الذي يجعلنا نشكّك في وصف النحو العربي بالصعوبة , ويحتّم علينا أن نبحث عن أسباب نفور التلاميذ من النحو العربي, فقد يكون الحل لهذه المشكلة في طريقة تدريس هذه القواعد .

هذا ما نريد أن نسلّط عليه الضوء في هذه المداخلة الموسومة بطرق تدريس القواعد النحوية وعلاقتها بفكر ابن خلدون .

من هذا يحقّ لنا أن نتساءل عن هذه الطرق: هل توجد طريقة واحدة لتدريس القواعد النحوية؟ , أم هناك طرائق متعددة ؟, وهل تطرّق علماء التراث العربي لتعليم القواعد النحوية؟, ومن هؤلاء العلماء ابن خلدون فكيف كانت نظرته إلى تعليم النحو العربي ؟, هل هي عميقة الطرح, أم سطحية؟, وهل استفاد علماء التربية في العصر الحالي من نظرة ابن خلدون في تأسيس طرق تدريس القواعد النحوية؟ .

المداخلة تحاول أن تجيب عن هذه التساؤلات .

I. طرق تدريس القواعد النحوية.

1. الطريقة القياسية .

لقد ذكر الكثير من المهتمين بالتعليم هذه الطريقة , ومن أهمّ التعريفات التي قدموها «الطريقة القياسية التي تقوم على البدء بحفظ القاعدة , ثمّ اتباعها بالأمثلة والشواهد المؤكدة لها . »2 .

و يعرّفها آخر« تقوم هذه الطريقة على أساس انتقال الفكر من المقدمات إلى النتائج, ومن الحقيقة العامة إلى الحقائق الجزئية, و من القانون العام أو القاعدة إلى النتائج.» 3 . و يصفها آخر بأنّها« تقوم على حفظ القاعدة منذ البداية ثمّ الإتيان بشواهد, و أمثلة تثبتها, وهذا يعني أنها تقوم على الحفظ, فالطالب ملزم بحفظ القواعد أولاً ثمّ تُعرض عليه الأمثلة التي توضّح هذه القاعدة, أي أنّ الذهن يبدأ من الكلّ إلى الجزء. »4

وما يُستنتج من هذه التعريفات أنّ الطريقة القياسية هي الانطلاق من العام إلى الخاص , ومن الكل إلى الجزء ,أي من القاعدة النحوية المقصودة إلى الأمثلة التي توضح هذه القاعدة ,وهي التي كانت يدرّس بها في الزوايا , والكتاتيب , وكُتبت بها أغلب الكتب التعليمية القديمة , ومازالت تُدرّس بها محاضرات النحو في الجامعات.

✓ مزايا الطريقة القياسية .

لقد تحدّثت المراجع المختصة على فوائد هذه الطريقة بأنّها سهلة التقديم , ولا تأخذ الوقت الكثير, فقال أحدهم :« طريقة سهلة لا تحتاج لوقت أو جهد»[5] . وقال آخر « إنّ الطريقة القياسية تمتاز بسهولة السير فيها على وفق خطواتها المقررة ...وهي أيضا طريقة سريعة لأنّها لا تستغرق وقتاً طويلاً. »6 . وتوصف أيضاً بـ« ومن فوائد هذه الطريقة سهولة عرضها حتّى أنّ بعض التربويين أطلق عليها طريقة (ضرب زيدٌ عمراً)»[7].

✓ عيوبها .

للطريقة سلبيات يُمكن أن نجملها كالآتي :

أ- « ومن مساوئ هذه الطريقة أيضاً أنّها تبدأ بالأحكام العامة الكلية التي تكون غالبا صعبة الفهم والإدراك ثمّ تنتهي بالجزئيات , أي أنّها عكس قوانين الإدراك ؛ حيث تبدأ بالصعب , وتنتهي إلى السهل.»[8] .

ب- ومن عيوبها أنّها لا تؤدي إلى اكتشاف التلميذ للقوانين النحوية, أي لا يساهم في الفهم الجيّد , رغم حفظ القاعدة, وهذا ما يُعيق التطبيق الجيّد 9 .

ت- هي طريقة تجلب الملل , ولا تُكسب التلميذ معلومات مفهومة , وتؤدي إلى النفور من دراسة القواعد النحوية 10 .

ومن هذه العيوب نستخلص : أنّ الطريقة القياسية لا تصلح للتدريس في مراحل التعليم المدرسي(الابتدائي والمتوسط والثانوي) , وقد تصلح للتعليم الجامعي ,لأنّ الطالب في الجامعة يكون قد درس القواعد النحوية في المراحل السابقة, وأخذ فكرة مقبولة من المعلومات تُمكّنه من التجاوب مع هذه الطريقة .

✓ خطوات تدريس الطريقة القياسية .

1- التمهيد : يكون بالتطرق إلى الدرس السابق الذي له علاقة بالدرس الجديد عن طريق طرح أسئلة حول معلومات القاعدة السابقة.

2- عرض القاعدة : قراءة القاعدة كاملة , وكتابتها على السبورة ,ثمّ مطالبة التلاميذ بقراءتها وحفظها .

3- تفصيل القاعدة : مطالبة التلاميذ بالإتيان بأمثلة تنطبق على القاعدة انطباقاً تاماً , وإذا عجز التلاميذ يُعطي المعلّم أمثلة من عنده .

4- التطبيق : طرح أسئلة تطبيقية حول القاعدة المدروسة , ومطالبة التلاميذ بالإجابة عنها .

2. الطريقة الاستنباطية (الاستقرائية) .

هذه الطريقة هي عكس الطريقة السابقة ؛ حيث يُبدأ فيها من الجزء للوصول إلى الكلّ, وتتجلّى معالمها من التعريفات الآتية:

أ-«و الأساس فيها الوصول من الأمثلة, أو الجزئيات إلى القاعدة, تعرض الأمثلة, وتناقش فيها الظاهرة النحوية للكشف عن نواحي الاشتراك, ثمّ تُستنبط القاعدة التي تُسجّل هذه الظاهرة . »[11].

ب - وسميت استنباطية لأنّها « تعني استنباط القاعدة من الأمثلة المعطاة , والشواهد المختلفة ,...لذلك يجب تحضير الأمثلة التي تنطبق عليها القاعدة العامة , وتوضيحها للتلاميذ من حيث المعاني , والمبنى , ومن ثَمّ يَتوصّل التلميذ عن طريق التفكير إلى الأحكام العامة , أو القاعدة من الأمثلة , أو الحالات الخاصة.»[12] .

ج - « وتقوم هذه الطريقة على الأمثلة التي يشرحها المعلّم , ويناقشها , ثمّ يستنبط منها القاعدة , وهذا يعني أنّه يبدأ من الجزء إلى الكلّ.»[13] .

وما نقوله عن هذه الطريقة:أنها تبدأ بالتدرّج في بناء القاعدة , ولقد كُتِبت وفق هذه الطريقة كتب في العصر الحديث ,مثل كتاب النحو الواضح لعلي الجارم , و كذلك الكتب المدرسية في الجزائر خاصة المدرسة الأساسية في ثمانينيات القرن الماضي.

فالمعلّم وفق هذه الطريقة يحضّر الأمثلة, ويسجلها على السبورة, ثمّ يناقشها مع تلاميذه مثالا مثالا ليبني معهم القاعدة بالتدرّج, ثمّ يطبق في نهاية الدرس حول القاعدة المتوصل إليها من أفواه التلاميذ, وهي أفضل من الطريقة القياسية من حيث الفهم لأنّها تتبع السنن المنطقية للإدراك.

✓ مزايا الطريقة الاستنباطية.

يمكن أن نذكر مزايا هذه الطريقة في نقاط:

أ – التلميذ فيها إيجابي , يسلك طريقا طبيعيا للفهم , ينتبه ويفكّر ويعمل, وبهذا فالطريقة تعمل على حفر تفكير التلاميذ 14.

ب – هي «التي تَنطلق من الواقع اللغوي نفسه , وتعتمد الملاحظة والتتبّع , والموازنة والاستنتاج والتطبيق , هذه هي طريقة البحث العلمي التي تتبع في تدريس المواد العلمية الآن, وذلك لأنّها تساير طبيعة الفكر. »[15] .

ج- المعلم بهذه الطريقة يحفّز تلاميذه , ويشاركهم معه في بناء الدرس 16 .

د – وقالوا عنها أنّها « تخلق رجالاً يثقون بأنفسهم , ويعتمدون على جهودهم , كما أنّها تعلّمهم الصبر والأناة في تفكيرهم .»[17].

ورغم هذه المزايا إلاّ أنّها انتقدت من بعضهم , وقيل عنها : أنّها بطيئة في التدريس , وأمثلتها مبتورة عن النصوص .

✓ خطوات تدريس الطريقة الاستقرائية .

-لقد حدّد هربارت للطريقة الاستقرائية خمس خطوات هي كالآتي :

1- التمهيد : تهيئة أذهان التلاميذ لتقبّل الدرس الجديد بواسطة طرح أسئلة حول الدرس السابق الذي له علاقة بالدرس الجديد لربط الموضوع بالموضوع المقدم , وتكون دافعاً للتلاميذ تجاه الدرس الجديد.

2- العرض :عرض الأمثلة النحوية التي تُغطي كلّ القاعدة على التلاميذ , ثمّ قراءتها من طرفهم بعد ما تسجّل على السبورة, وتكون مرتبة حسب تسلسل القاعدة .

3- الربط والموازنة والمقارنة: مناقشة الأمثلة مع التلاميذ بالموازنة والربط بين هذه الأمثلة لإظهار العلاقات بينها , وتهيئة الأذهان للانتقال إلى استنتاج القاعدة

4- استنتاج القاعدة : مناقشة التلاميذ للأمثلة بتوجيه الأستاذ مثالا حتّى يتمكنّوا من استنتاج القاعدة بأنفسهم , ويكون هذا الاستنتاج بالترتيب المعروض على السبورة إلى أن يتوصلوا إلى بناء القاعدة كاملة , ثمّ تسجّل على السبورة .

5- التطبيق : تدريب التلاميذ على القاعدة التي توصلوا إليها بواسطة الأسئلة الشفوية , أو الكتابية , حتّى تُرسّخ القاعدة في الأذهان .

3 طريقة النص الأدبي (الطريقة المعدلة) .

نلاحظ من خلال التسمية أنّها تعتمد في تدريس القواعد النحوية على النصوص الأدبية , وأنّها تعديل للطريقة الاستنباطية, إذ إنّها تشترك معها بعد استخراج الأمثلة من النص.

ولقد عرفها الباحثون بـ:

أ-« تقوم على عرض النص الأدبي المترابط الأفكار , وهي تسير بكتابة النص الأدبي أمام التلاميذ مع كتابة الأمثلة المرغوب في دراستها بخط مميّز , أو وضع خطوط تحتها , وبعد أن يقرأها التلاميذ يناقشهم المعلّم بالأمثلة المميّزة حتّى يصل إلى استنباط القاعدة. »[18].

ب- « وأنّ عرض الأمثلة من خلال نصّ أدبي عرضٌ لها في إطار كلي لا في شتات متفرّق لا روابط بين أفكاره واتّجاهاته. »[19] .لأنّ« القواعد النحوية ظواهر لغوية , وأنّ الوضع الطبيعي لدراستها إنّما يكون في ظلّ اللغة»[20].

ج- « وفي هذه الطريقة يعرض المعلّم نصّاً متكاملاً يشتمل على الأساليب المتّصلة بالدرس, والأساس العلمي والتربوي في هذه الطريقة أنّ القواعد النحوية ظواهر لغوية»[21].

وما يلاحظ على هذه الطريقة :أنّها تركّز على تدريس القواعد النحوية في إطارها الطبيعي الذي أُستخرجت منه , وهو النص اللغوي , فمن خلال فهم النص بعد قراءته وتحليله تستخرج الأمثلة المقصودة , وبعد ترسيخها في أذهان التلاميذ تستنبط منها القاعدة النحوية, أي نعلّم التلميذ القواعد ممّا أصبح في ذاكرته , وبهذا يسهل عليه فهم هذه القواعد.

✓ مزايا طريقة النص الأدبي .

لقد ذكر الباحثون لهذه الطريقة مجموعة من المزايا نذكر منها :

- التلميذ يشعر باتّصال القواعد النحوية بلغة الحياة التي يتكلّمها هذا ما يجعله يُحبّ هذه القواعد,ولا ينفر منها [22].
- تُعالَج القواعد النحوية في سياق لغوي علمي , وأدائي متكامل .
- تُجعَل القراءة مَدخلاً للنحو .
- تَجعل الطريقة تذوّقَ النص مجالاً لفهم القواعد النحوية .
- تَمزِج النحو بالتعبير الصحيح[23] .

✓ عيوب طريقة النص الأدبي .

رغم كلّ هذه المزايا إلاّ أنّها لها بعض العيوب, لأنّها لا تخلو طريقة من مآخذ . نوجزها في نقاط:

- يصعب الحصول على نص متكامل ؛ يحمل كلّ الأمثلة المطلوبة التي تستنبط منها القاعدة كاملة[24].
- يضيع الوقت في القراءة والتحليل , ويُشغل المعلّم عن الهدف الأساس25 .
- يتّصف النص المخصص لتدريس القواعد عادة بالتكلّف , والاصطناع ولهذا لا يؤدي إلى جلب انتباه التلاميذ لأنّهم لا يجدون متعة وهم يدرسونه .

و إذا قارنا بين الطريق الاستقرائية و طريقة النص الأدبي لا نجد بينهما فروقاً كثيرة إلاّ في استخراج الأمثلة , فالطريقة الاستقرائية المعلّم هو الذي يختار الأمثلة من نصوص مختلفة , لكنّ طريقة النص الأدبي الأمثلة موجودة في النص المدروس من الكتاب المدرسي المقرر في حصة القراءة.

✓ خطوات تدريس طريقة النص الأدبي[26] .

1- التمهيد : يُتطرق إلى الدرس السابق الذي له علاقة بالدرس الجديد عن طريق طرح أسئلة حول قاعدة الدرس السابق .

2- العرض : كتابة النص على السبورة , ثمّ قراءته من طرف المعلّم وتلامذته , ثمّ تحليل النص بمناقشته مع التلاميذ- بعد شرح المفردات الصعبة-, ثمّ استخراج أفكار النص حتى يترسّخ في أذهان التلاميذ.

3- استخراج الأمثلة : مناقشة النص مع التلاميذ لاستخراج الأمثلة, وتسجيلها على السبورة مرتبة حسب أجزاء القاعدة .

4- استنتاج القاعدة :مناقشة الأمثلة مع التلاميذ مثالاً مثالاً مع مراعاة الترتيب حتّى يتوصّل التلاميذ إلى استخراج القاعدة كاملة , ثمّ تدوّن على السبورة بخط واضح.

5- التطبيق : مطالبة التلاميذ بتطبيق القاعدة , وذلك بالإتيان بأمثلة من إنشائهم , أو إعراب بعض الألفاظ.

4 طريقة حلّ المشكلات .

يتّضح لنا من خلال التسمية أنّ هذه الطريقة تحاول أن تجعل التلميذ يشعر بالمشكلة التي تواجهه فيحاول أن يتخلّص منها بالرجوع إلى قواعد اللغة, ولقد عرفت بـ« تقوم هذه الطريقة على دروس التعبير أو القراءة , والنصوص حتّى يتّخذ المعلّم هذه النصوص , والموضوعات نقطة البدء لإثارة المشكلة التي تدور حول ظاهرة , أو قاعدة نحوٍ , ثمّ يلفت نظرهم إلى أنّ هذه الظاهرة ستكون دراسة موضوع النحو المقرر , ثمّ يُكلّفهم جمع الأمثلة المرتبطة بهذه المشكلة من الموضوعات التي بين أيديهم , أو من غيرها , ومناقشتها معهم حتّى يستنبط القاعدة. »[27] .

ويعرّفها آخر فيقول:« وتعتمد هذه الطريقة على النشاط الذاتي للتلميذ, وذلك من خلال أعماله اللغوية من قراءة وكتابة وتعبير, حيث يُلاحظ المعلّم الأخطاء المشتركة بين التلاميذ فيجمعها ويناقش تلاميذه حولها, من حيث طبيعتها, وأسباب الوقوع فيها,

فيتبيّن لهم جهلهم بالقاعدة النحوية, تلك التي سبق أن درسوها والأخرى التي لم يسبق أن مرّت بخبراتهم, كذلك يجد التلميذ نفسه في حيرة من أمره, ولا يستطيع الإجابة عن الخطأ أو تصحيحه, حيث يعتمد على التحزير بالصدفة ممّا لا يُؤدي إلى الفهم الصحيح للقاعدة , فيُدرك التلاميذ أنّهم بحاجة إلى مساعدة المعلّم, كي يُخرجهم من الورطة التي وقعوا فيها , أو يجدون أنفسهم بحاجة إلى مراجعة القاعدة النحوية. »[28] .

✓ مزايا طريقة حلّ المشكلات .

لقد وصف أحد الباحثين هذه الطريقة بأنّها« تُعلّم التلاميذ كيفية اكتشاف الأخطاء , والوقوف على المشكلات اللغوية الحقيقية , ومعالجتها بأسلوب علمي سليم ,كما تعوّدهم على استخدام خطوات التفكير العلمي. »[29] .

وما يُستنتج من هذا: أنّ الطريقة صعبة التطبيق لأنّها تُؤدي إلى تضييع الكثير من الوقت حتّى تدرّس القواعد النحوية ضمن كلّ علوم اللغة العربية ,ولا يستطيع المعلّم أن يُكمل برامج القواعد, ولا يشعر المتعلّم بمشكلة القواعد التي يُعاني منها.

بعد ما تعرفنا على أهمّ طرق تدريس القواعد النحوية المتداولة في المدارس العربية في العصر الحالي , يُمكننا أن نبحث عن هذه الطرق في تراثنا العربي , وأوّل ما يتبادر إلى الذهن في هذا المجال هو العلامة ابن خلدون , إذ هو من الأوائل الذين تطرّقوا إلى تعليم القواعد النحوية في مقدّمته,فهل نظرته إلى تعليم القواعد النحوية كانت عميقة الطرح؟ أم كانت سطحية ؟,وهل استفاد علماء التربية من نظرة ابن خلدون في تأسيس الطرق التي ذكرناها سابقاً ؟ .

نظرة ابن خلدون إلى الملكة اللسانية .

لقد تحدّث ابن خلدون عن الملكة اللسانية بصفة عامة فقال:« اعلم أنّ اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلّم عن مقصوده , وتلك العبارة فعل لسانيٌ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام , فلا بدّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها , وهو اللسان.»[30] .

و ما يُستنتج من كلام ابن خلدون أن اللغة البشرية هي تبليغ المتكلّم مقصوده إلى المستمع بواسطة اللسان , وحتّى تؤدي اللغة هذه الرسالة لابدّ أن تكون ملكةً عند المتكلّم , ثمّ يُوضّح ابن خلدون شروط تكوّن هذه الملكة فيقول:« فالمتكلّم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودةً فيهم ,يَسمع كلام أهل جيله , وأساليبهم في مخاطباتهم , وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم , كما يَسمع الصبيُ استعمال المفردات في معانيها , فيلقّنها أوّلاً , ثمّ يَسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ,ثمّ لا يزال سماعهم لذلك

يتجدّد في كلّ لحظة , ومن كلّ متكلّم , واستعماله يتكّرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة , ويكون كأحدهم .»[31] .

وما يُفهم من هذا النص أنّ الملكة اللسانية التي كانت لدى العربي قديماً تحصل بالتكرار الصحيح بعد الاستماع الجيّد للكلام العربي الفصيح .

ثمّ يواصل ابن خلدون حديثه عن الملكة اللسانية العربية ليصل إلى إمكانية تعلّم اللسان العربي عارضاً شروط ذلك فيقول:« اعلم أنّ ملكة اللسان المضري...إلاّ أنّ اللغات لما كانت ملكات كما مرّ كان تعلّمها ممكناً , شأن سائر الملكات . ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسَه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث , وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم.»[32] .

لقد صرح ابن خلدون في هذا النص أنّ المتعلّم يمكن أن يتحصل على اللغة العربية الفصيحة , ويتمكن من اكتساب هذا اللسان حتّى يُصبح يتكلّم بالسليقة والطبع« حتّى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة مَنْ نشأ بينهم ولقّن العبارة عن المقاصد منهم , ثمّ يتصرّف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم , وتأليف كلماتهم.»[33] .

ومن خلال كلام ابن خلدون نبحث عن كيفية تربية الملكة اللسانية , أي عن طرق تعليم قواعد النحو العربي , فهل تطرّق ابن خلدون لطرق تدريس القواعد النحوية في مقدّمته؟ .

إنّ الدارس لكلام هذا العلّامة في المقدمة, المعنون بـ« في أنّ ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم» يجد أنّ ابن خلدون أشار إلى صلة الملكة اللسانية بالنحو فقال:« والسبب في ذلك أنّ صناعة العربية إنّما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصّة. فهو علم بكيفية, لا نفس كيفية. فليست نفس الملكة , وإنّما هي بمثابة مَن يَعرف صناعةً من الصنائع علماً , ولا يُحكمها عمَلاً. »[34] .

فابن خلدون في هذه الفقرة يتحدّث عن تعلّم القواعد النحوية , وكأنّه يتكلّم عن الطريقة القياسية, ويسميها علم بكيفية , ويُفرّق بينها وبين طريقة النص التي يرمز لها بنفس كيفية التي تؤدي في نظره إلى الملكة اللسانية , ويمثّل إلى الطرية القياسية التي تؤدي إلى تحفيظ القاعدة النحوية , لكنّ الحافظ لا يستطيع أن يتكلّم اللغة العربية الفصيحة دون أخطاء بمَن يتعلّم علم الخياطة , ولا يمارسها عملاً , أي يتعلّم الجانب

النظري فقط, فإذا سألته عن هذا العلم شرح لك ذلك نظرياً , ولو طلبت منه أن يخيط لك قميصاً لا يستطيع 35, وعند ما يتكلّم عن تعلّم القواعد بواسطة طريقة النص التي سماها نفس كيفية في تصوري على الأقل قال:« وقد نجد بعض المهرة في صناعة الإعراب بصيراً بحال هذه الملكة , وهو قليل واتّفاقي , وأكثر ما يقع للمخالطين لكتاب سيبويه . فإنّه لم يقتصر على قوانين الإعراب فقط , بل ملأ كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم , فكان فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة فتجد العاكف عليه والمحصّل له, قد حصّل على حظّ من كلام العرب واندرج في محفوظه في أماكنه ومفاصل حاجاته , وتنبّه به لشأن الملكة , فاستوفى تعليمها فكان أبلغ في الإفادة .»[36] .

من هذه الفقرة نستنتج نظرية ابن خلدون حول تدريس القواعد النحوية الناجحة التي تُؤدي إلى امتلاك الملكة اللسانية , فهو يشرح طريقة تدريس القواعد انطلاقاً من النص ومثّل لها بأمثال العرب وأشعارهم, وسمّى لنا كتاباً بعينه وهو كتاب سيبويه لما يحمل من أمثال , وأشعار وآيات قرآنية , ونجده في مكان آخر يُفرّق بين العلم بكيفية , ونفس كيفية ليُدلل على نظريته أنّها هي التي تُمكّن الشخص المتعلّم من النسج على منوال كلام العرب فيقول:« وتلك القوانين إنّما هي وسائل للتعليم,لكنّهم أجروها على غير ما قصد بها,وأصاروها علماً بحتاً وبعدوا عن ثمرتها»[37].

فهو هنا يُؤكّد أنّ طريقة تحفيظ القواعد النحوية مجرّدة من النصوص الأدبية لا تُفيد المتعلّم, ولا تُمكّنه من اكتساب الملكة اللسانية, ثم يواصل شرحه ليُقوّي رأيه على الطريقة المفيدة للمتعلم:« وتعلّم ما قرّرناه في هذا الباب, أنّ حصول ملكة اللسان العربي إنّما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب, حتّى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه, و يتنزّل بذلك منزلة مَن نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم, حتّى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم.»[38].

فابن خلدون يُؤكد أنّ تعلّم القواعد النحوية بواسطة طريقة النص الأدبي بالتسمية المعاصرة تُؤدي إلى حصول ملكة اللسان العربي لأنّ هذه الطريقة تَنطلق من تحفيظ النصوص العربية , وكلّ ما كان الحفظ جيّداً كان تحصيل الملكة جيّداً , وأدّى ذلك إلى النسج على منوال كلام العرب , وهذا هو الهدف من تعليم القواعد النحوي العربية, أي أن يُصبح المتعلّم يتكلّم اللغة العربية بسهولة ويسر دون أخطاء , وبهذا يتحصّل على ملكة اللسان العربي .

وإذا أردنا أن نستخلص طريقةً لتدريس القواعد النحوية العربية من كلام ابن خلدون المذكور سابقاً قلنا:

1- التمهيد : يكون بمراجعة القاعدة السابقة التي لها علاقة بالدرس الجديد عن طريق طرح أسئلة حول القاعدة المدروسة , أو الإتيان بجمل من إنشاء التلميذ تحمل محتوى القاعدة المدروسة .

2- العرض : اختيار نصّ يحمل الأمثلة التي تستخرج منها القاعدة المقصودة مثل سورة قرآنية , أو قصيدة شعرية , وكتابتها على السبورة .

3- القراءة والتحفيظ : قراءة النص من المعلّم والتلاميذ , ثمّ يتمّ تحفيظه للتلاميذ .

4- التحليل والاستنتاج : تستخرج الأمثلة التي تُبنى عليها القاعدة من النص المحفوظ , وتسجّل على السبورة على ترتيب أجزاء القاعدة , ثمّ تناقش هذه الأمثلة مع التلاميذ ليستنتجوا منها القاعدة جزءًا جزءاً بأنفسهم بتوجيه المعلّم , تسجّل القاعدة كاملة على السبورة .

5- التطبيق : تطبّق التمارين حول القاعدة المدروسة لترسّخ في أذهان التلاميذ , وهذه هي طريقة النص الأدبي التي أشار إليها المهتمون بالتعليم في العصر الحاضر

خاتمة :

وفي نهاية هذا المقال يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية :

- أهمّ طرق تدريس القواعد النحوية العربية هي :
- الطريقة القياسية – الطريقة الاستقرائية – طريقة النص الأدبي – طريقة حلّ المشكلات .
- أفضل طرق تدريس القواعد النحوية العربية في العصر الحاضر هي : طريقة النص الأدبي لأنّها تمكّن التلميذ من استيعاب القواعد النحوية على أحسن وجه .
- لقد تحدّث ابن خلدون عن تعليم القواعد النحوية العربية في المقدّمة, بتحليل عميق, ومن كلامه نتوصل إلى جذور الطريقة القياسية , وطريقة النص الأدبي, ومنه يتبيّن لنا أنّ علماء التربية في العصر الحاضر قد استفادوا من نظرة ابن خلدون لتعليم النحو العربي في تأسيس طرق تدريس القواعد النحوية .
- وإذا دُرّست القواعد النحوية العربية بواسطة طريقة النصّ الأدبي عن طريق معلّم صاحب تجربة ستؤدي إلى نتائج جيّدة, وترسخ هذه القواعد النحوية في أذهان التلاميذ .
- وفي الأخير يمكن أن نقترح خطوات طريقة لتدريس القواعد النحوية وفق طريقة النص الأدبي لأنها هي التي تصلح في هذا العصر لتدريس النحو العربي الذي يُنعت بالصعب , وتكون كالآتي :

- التمهيد: مراجعة درس القواعد المدروس سابقاً بطرح أسئلة على التلاميذ لمعرفة ما مدى فهمهم للدرس السابق الذي يكون أرضية للدرس الجديد .
- العرض : اختيار سورة قرآنية محفوظة من طرف كلّ التلاميذ , وتكون من السور القصار ,مثل سورة النصر , وتكون هذه السورة تحمل كلّ الأمثلة التي تنطبق على قاعدة درس القواعد الجديد, وكتابتها على السبورة .
- القراءة والتحفيظ : قراءة السورة من المعلّم والتلاميذ , ثم مطالبتهم بحفظ السورة .
- التحليل والاستنتاج : مساءلة التلاميذ لاستخراج الأمثلة التي تحمل أجزاء القاعدة من السورة , وتسجيلها على السبورة بترتيب أجزاء القاعدة , ومطالبتهم بقراءتها , ثم مناقشتها معهم مثالاً مثالاً ليستنتجوا القاعدة, ويكون هذا عن طريق طرح أسئلة موجِهة لهم حتّى تُبنى كلّ القاعدة من طرفهم .
- التطبيق : مطالبة التلاميذ باستعمال القاعدة المدروسة , وهذا عن طريق الإتيان بجمل من إنشائهم مشافهة, أو كتابة .

الإحالات

1- المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون, الدار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر , ط1, فيفري 1984م , ج2, ص711-712 .

2- طرق تدريس اللغة العربية لعلي أحمد مدكور , دار الميسرة للنشر والتوزيع , عمان الأردن , ط2, سنة1430هـ-2010م , ص258.

3- طرق تدريس اللغة العربية لزكرياء إسماعيل , دار المعرفية الجامعية , ش قنال السويس الشاطبي , سنة2005م , ص224.

4- مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها لسعدون محمود الساموك , دار وائل للنشر , عمان الأردن , ط1, سنة2005م , ص228.

5- الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية لمحمد رجب فضل الله , دار عالم الكتب , ط1, سنة1998م , ص191.

6- أساليب حديثة في تدريس اللغة العربية لطه علي حسين الدليمي , وكامل محمود الدليمي , دار الشروق للنشر والتوزيع , عمان الأردن , ط1, سنة2004م , ص63.

7- طرق تدريس اللغة العربية لزكرياء إسماعيل , ص224.

8- تدريس فنون اللغة العربية لعلي أحمد مدكور , دار الفكر العربي , القاهرة مصر , سنة2000م , ص294-295.

9- ينظر طرق تدريس اللغة العربية لزكرياء إسماعيل , ص224.

10- ينظر الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية لمحمد رجب فضل الله , ص192.

11- التدريس في اللغة العربية لمحمد إسماعيل ظافر ويوسف الحمادي , دار المريخ , الرياض المملكة العربية السعودية , ط1, سنة1974م , ص279.

12- طرق تدريس اللغة العربية لزكرياء إسماعيل , ص222.

13- مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها , سعدون محمود الساموك , ص229.

14- ينظر الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية لمحمد رجب فضل الله , ص192.

15- همزة وصل , مجلة التربية والتكوين , وزارة التربية الوطنية الجزائر , عدد خاص , سنة 1991م , ص202.

16- ينظر طرق تدريس اللغة العربية لزكرياء إسماعيل , ص223.

17- مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها لسعدون محمود الساموك , ص228.

18- نفسه , ص229 .

19- التدريس في اللغة العربية لمحمد إسماعيل ظافر و يوسف الحمادي , ص279.

20- نفسه , ص229 .
21- طرق تدريس اللغة العربية لزكرياء إسماعيل , ص228 .
22- ينظر اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية لطه علي حسين الدليمي وسعاد عبد الكريم الوائلي , عالم الكتب الحديثة , ط1 , سنة1429هـ-2009م , ص224 .
23- ينظر المرجع نفسه , ص224-225 .
24- ينظر نفسه , ص225 .
25- ينظر الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية لمحمد رجب فضل الله , ص192
26- ينظر اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية لطه علي حسين الدليمي , ص225-226 .
27- مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها لسعدون محمود الساموك , ص229 .
28- طرق تدريس اللغة العربية لزكرياء إسماعيل , ص231 .
29- نفسه , ص232 .
30- المقدمة للعلامة لابن خلدون , ص712 .
31- نفسه , ص722 .
32- نفسه , ص728 .
33- المقدمة لابن خلدون , ص728 .
34- نفسه , ص 729 .
35- ينظر نفسه , ص729 .
36- المقدمة لابن خلدون , ص730 .
37- نفسه , ص730 .
38- نفسه , ص730-731 .